بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن تاريخ الأمة هو الأمة، وكل جيل من أجيالها حلقة من حلقاتها الممتدة من الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

والجيل المعاصر هو أحد هذه الحلقات، وسيكون له تاريخ وسيكون تاريخه فصلاً من تاريخ أمته، وكما ينبغي للمرء أن يعرف نفسه وما مرَّ به من يسر وعسر، ينبغي للجيل كذلك أن يعرف ماضي أمته وبلدته وما صدر عنها من خير وشرٍّ، وما قامت به للحق والفضيلة من نصرة أو تقصير، لأن الجيل امتداد لأمته وهو منها وقبيح به أن يجهلها كما أنه قبيح بالمرء أن يجهل نفسه.

ومن حق بلدتنا علينا أن نكتب عنها كل الفضائل، التي جرت فوق أرضها، وأن نكشف حقائق الماضي لنبرزه للحاضر منارةً واضحة ليعرف الحاضر، الماضي الذي كانت تعيش فيه هذه البلدة الكريمة الخيِّرة.

ومن حق بلدتنا علينا أيضاً أن نكتب عن أعلامها وأفرادها الذين كانوا من منارات الدنيا في العلم والأدب.

خطة الكتاب:

- إن بحثنا في تاريخ حرستا ودراسة تطورها عبر التاريخ، ومعالم آثارها، والأعلام الذين ظهروا فيها، لم يبحثه - في حدود علمي - أحد قبلي، وكان هذا من أبرز الصعوبات التي واجهتني في تأليف هذا الكتاب.
- إن حرستا جزء من غوطة دمشق الشهيرة في عالم البلدان، ولا يمكن معرفة الجزء، إلاَّ بمعرفة شيء عن الكل.

من أهداف هذا البحث:

- تزويد القارئ العربي بثقافة تاريخية علمية موثّقة حول بلدة حرستا، التي كانت مركزاً للغساسنة العرب - كما ذكر المؤرخون -.
- العمل على إصلاح حاضرنا، وبناء مستقبلنا، على أساس متين من أمجادنا الإسلامية القديمة.
- إغناء المكتبة العربية بتاريخ مفصّل عن حرستا، ليكون مرجعاً من بعدنا للأجيال القادمة.
- تعريف الحرستاني بتاريخ آبائه وأجداده.
- توثيق الروابط العائلية، بين أفراد الأُسر الحرستانية.

من أسباب تأليف هذا الكتاب:

- ينبغي أن يكون لحرستا تاريخ شامل، لما فيها من الأعلام والآثار القديمة والتاريخية، ولأهميتها كموقع جغرافي وتجاري قريب من دمشق.
- وفود الناس إلى حرستا، وتوسع نشاط العمران، جعلنا نحصي بعض العائلات الحرستانية الأصيلة، كيما نعرف الحرستانيين من الذين وفدوا عليها.
- كثرة ما سمعته عن أعلامنا في هذه البلدة، وقصص كفاحهم ضد الاستعمار الغاشم، وحبّهم لأرضهم، ومعرفتهم بعضهم بعضاً، هذا كله دفعني إلى تصنيف هذا الكتاب الذي هو عربون محبتي لهذه البلدة.

وأخيراً.. فإننا نشكر كل من أسهم في تزويدنا بشي من معلومات هذا الكتاب راجين الله تعالى أن نكون قد استطعنا أن نرسم الصورة التي أردناها لحرستا بعمقها، وأبعادها، وملامحها... والله من وراء القصد.

محمود خليل محفوض

سنة 1988م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على من أرسل رحمةً للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

منذ فترة من الزمن تاقت نفسي إلى استجلاء محاسن بلدتي حرستا التي هي مسقط رأسي، والتنقيب عن تاريخها منذ قدر لها العمران في هذا الوجود، وما اعتورها من الأطوار، وتعاقب عليها من الأدوار، ومن قطنها من الأمم. فقمت بتصنيف هذا الكتاب الذي يشتمل إلى جمع ما تفرَّق في كتب التاريخ والتراجم والأنساب، فأخذت من كل بحر درّة، ومن كل روض زهرة. فإنَّ فائدة التاريخ العامة الوقوف على أحوال من سبق، والنصح بها والاعتبار بتقويم معوج الطباع والأميال، والتحرز مما سقطت به الأمم الماضية من الأعمال، والإقتداء بخيار أعمالهم. فعلم التاريخ علمٌ شريفٌ فيه العظة والاعتبار، وبه يقيس الإنسان نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار. قال قطب الدين النَّهرواني في تاريخ مكة: «إنَّ علم الأخبار يشتمل على حوادث الزمان، وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران، وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والأحداث بعدما صاروا إلى الأجداث، فإنَّ ذلك عبرة لمن اعتبر، وإيقاظ بحال من مضى وغبر وأعلام بأن ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكهة للفضلاء، وإفادة لمن يأتي بعده من البشر، ومن كتب التاريخ فقد أهدى إلى من بعده أعماراً وبوّأ مسامعهم وأبصارهم دياراً ما كانت لهم دياراً، وأعلم أهل الأفاق بأخبار بلاد ما كانت لهم مستقراً ولا داراً.

ثم قال رحمه الله تعالى:

فـــاتني أن أرى الديـــار بعينـــي ... فلعلِّـــي أرى الديـــار بســـمعي

إن دراسة تاريخ بلدة ما، موضوع جليل، وينبغي على كل من يحب بلاده أن يُحيط بها ليعرفها بمحاسنها ومساوئها، وليتمكَّن من خدمتها وإسداء الأثر النافع لها.

وكيف يحب المرء بلداً لا يعرفه؟ ويحرص كل الحرص على سعادته ليسعد هو والأجيال القادمة فيه من بعده. فنجد أن أكثر بلاد الشام عامة، والسورية منها خاصة، لا تزال محرومة البحث، مجهولة الوصف، قلَّ أن تجد فيها من يُحيط بخططها كما ينبغي، وأعني بالخطط أوضاعها الطبوغرافية، وأقسامها الإدارية، ومواقعها التاريخية، ومبانيها الأثرية، وشؤونها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية. وناهيك عن الأعلام الذين نبغوا في مجالات العلم والدين، وتولوا أعلى المناصب، وكانوا أئمة في كثير من العلوم، وما إلى ذلك من أمور يجب أن يُبحث فيها، وما كتب عنها إلى يومنا هذا لا يفي بالغرض المطلوب.

وعندما أردنا البحث في تاريخ هذه البلدة واجهتنا صعوبات كثيرة، منها قلّة وجود المخطوطات القديمة لعلماء حرستانيين، وإن وجدت فهي خاصة وليست عامة كيما تقربنا إلى البحث في تاريخ حرستا.

ففي الطبعة الأولى لم نجد من يرشدنا بشكل صحيح إلى بعض المعلومات التي يمكن أن نستعين بها في تصنيف هذا الكتاب. ومنها تناقل بعض الأخبار على الألسنة جيلاً بعد جيل بغير تدوين أو ضبط فيعرض له تحريف وتبديل، ولا يخطر بالبال. ومن أسباب التعقيد والالتباس نسبة الحادثة إلى غير صاحبها في بعض الأوقات، والاختلاف في الأنساب.

فكنا ونحن نتوغَّل في هذا البحث، نرى بكثير من الأسف أن جلَّ مثقَّفينا ومفكرينا لا يعرفون من شؤون مسقط رؤوسهم، وجغرافيتها وتاريخها القديمين والحديثين قدراً كافياً. ورأينا أيضاً أن الأُسر الكبيرة المدَّعية بعراقة النسب والحسب جلَّ أبنائها في غفلة عن ماضيهم، لا يعرفون أسماء أجدادهم الأقرباء، دع أسلافهم البعداء، ولا يحيطون بتاريخ أسرتهم ومنشئها، وكيفية مجيئها إلى موطنهم الحالي واستقرارها فيه وأوسعهم إطلاعاً لا يروي لك عن أُسرته وأسماء أفرادها الحاضرين والغابرين وأحداثهم إلاَّ بعض اللَّمم، ولا تستند في الغالب على برهان معقول، ولا تخلو من شائبة التناقض أو المبالغة. ومن الغريب أنَّ كثيراً منهم يتوق إلى ربط سلسلته بحلقة أحد آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أحد أصحابه رضي الله عنهم، أو الأولياء الأبرار، أو أحد الملوك والأمراء

الأخيار، وقلَّ من يستطيع أن يؤيد مدعاه بوثائق مكتوبة، أو شجرات محفوظة، مما يجعل الشك في بعض دعاوى الأنساب عندما يسود على اليقين.

وعندما أخرجنا الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1988م واجهتنا بعض الاتهامات والافتراءات، وخاصة في موضوع البحث بعائلات البلدة، وإذا أهملنا بحث العائلات، ولم نكتب عنها شيئاً فسيكون هذا التاريخ ناقصاً بعض الشيء، لأن تاريخ أي بلدة من البلدان هو دراسة الأرض وأحوالها، وذكر السكان الذين يقومون على تلك الأرض التي يزرعون فيها، ويبنون عليها.

وعندما شرعنا في كتابة الطبعة الثانية لهذا الكتاب، وذلك لسد بعض ما فاتنا في الطبعة الأولى، قمنا بمراجعة الكثير من أفراد العائلات الحرستانية لنوثّق معلوماتهم بما لدينا من معلومات حول العائلات من حيث إبراز أعيان ومنشأ كل عائلة. فلذلك قمنا أيضاً بإجراء مقابلات شخصية مع رجال مسنين في البلدة، رغم أنَّ البحث معهم كان شائكاً وقليل الجدوى، لأنَّ معلوماتهم غير دقيقة يشوبها النسيان والتحيّز فلا يمكن الاعتماد عليها بشكل كلي وعلمي. فكان اعتمادنا بالدرجة الأولى على كتب التواريخ والتراجم والأنساب وقد جعلنا الكتاب على مقدمة وثمانية أبواب:

الباب الأول: في مدخل الكتاب، وتحديد موقع حرستا في البلاد العربية وغوطة دمشق، وسبب التسمية، ثم النسبة إليها.

الباب الثاني: حرستا عبر التاريخ، من حيث ذكرها في كتب التاريخ، والغساسنة العرب، ثم إسلام الحرستانيين وما مرَّ عليها من حروب وكوارث، ثم الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي.

الباب الثالث: البحث في البلدة القديمة، ومعالمها الأثرية، وذكر القرى التي اندثرت، وأحياء البلدة ومساجدها وما قيل فيها من شعر.

الباب الرابع: يتحدَّث عن الزراعة والري في حرستا، والبحث في الملكية الزراعية وأنواعها، ثم زراعة الأشجار والحبوب والخضراوات، ثم البحث في استعمال الأدوات الزراعية القديمة، وتربية الحيوانات.

الباب الخامس : تجمعات البلدة الدينية والفنية والرياضية ، والجمعيات وأنواعها .

الباب السادس : الحياة الاجتماعية عند الحرستانيين ، والبحث في اللهجة والعادات والتقاليد ، والحياة العلمية عند الأطفال ، والبحث في الصناعات اليدوية .

الباب السابع : وهو أجلّ أبواب هذا الكتاب ، إذ يتحدَّث عن أعلام حرستا وهم العلماء والفقهاء ، ثم القضاة ، فالشعراء .

الباب الثامن : البحث في عائلات حرستا الكبيرة منها والصغيرة ، ومنشأ كل عائلة ، وذكر أبرز أعيانها .

وأخيراً . . . فإننا نشكر كل من أسهم في تزويدنا بشيء من معلومات هذا الكتاب ، ونرجو المعذرة من القرَّاء الأعزَّاء إن وجدوا في كتابنا هذا بعض الخلل . والله من وراء القصد .

المؤلف

محمود خليل محفوض

حرستا في 13 ربيع الآخر 1427هـ

و10 أيار 2006م